أوائل المسلمين
١
إسلام
أبى بكر
بقلم
السيد شحاته

أوائل المسلمين

إسلام أبي بكر

بقلم

السيد شحاته

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العَالَمِين ، والصَّلاةُ والسلامُ عَلَى المبْعوثِ رحمةً للعَالمينَ ، وعلى آله وصَحْبِهِ ، ومن اهْتَدى بَهدْيِهِ إلَى يَومِ الدِّين .

وبَعْد :

فَهذِهِ صُورة صادِقَةٌ بيْنَ يَديْك أيُّها القارئ العَزيزُ . لصَفْوةٍ منَ الصَّحابَةِ الأجلَّاء الَّذين دخَلُوا فى دِينِ الله أفواجًا وضحَّوْا بالغالى والنَّفيسِ فى نَشْرِ هذه الدَّعوة المبارَكة .

وقد جاءَتْ رائعةَ الأسْلوبِ ، قَريبةً إلى الأذهان .

والله نرجُو أن تكونَ مُفيدةً هادِيَةً . وأن يسْتَفيد منها كُلُّ مُسلمٍ لأنها مأخُوذَة من صفحات التَّارِيخ الإسلامى العظِيم .

والله وليُّ التوفيق

صَاحِبَان

قَبلَ ظُهورِ الإسْلام بأرْبعينَ عامًا ، أوْ أقلَّ مِنْ ذلكَ قَليلا ، تَرعْرعَ فى أحْضانِ مَكَّةَ شَبابُ جيلٍ عَربىٍّ . تَجمعُهم رَوابطُ القَرابةِ ، والوَطنِ ، وروابطُ الجِوارِ والعَملِ .

يَجْرى النَّاس هُنا ، وهُناكَ ، وكلٌّ وَاحدٍ مِنهمْ يَسيرُ إلى غَايتهِ ، ويتَّجهُ إلى أهْدافِه ، فى أمانٍ واطْمئنانٍ .

وفى هٰذهِ المدينة ، تَعارفَ رَجُلان ، واصْطَحبا ، رَبطَتْ بيْنَهما عِلاقاتٌ كَثيرةٌ مِنَ الوُدِّ والمحبَّةِ ، وصَفاء النَّفسِ ، وصِدْق الكَلمةِ ، وطَهارةِ الضَّميرِ ، ونُبْلِ الغَرضِ .

أمَّا أولُ الرَّجُلَين : فَهوَ مُحمدُ بنُ عَبدِ الله بن عَبْدِ المطَّلبِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافِ بنِ قُصىٍّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّة .

وأمَّا الثَّانى : فَهُو أبُو بَكرِ بنِ أبى قُحافَةَ بنِ عَامرِ بنِ عَمْرو بْنِ كَعبِ بْنِ سَعدِ بْنِ تَيمِ بن مُرَّة .

فَكانَ النَّسبُ اتِّفاقًا بيْنَهما فَوقَ الرَّوابطِ السَّابقةِ ، لأنَّ بينَ كلٍّ وَاحدٍ مِنْهما ، وبَين جَدِّه (مُرَّة) سِتَّةَ آباءٍ .

طِبَاعٌ مُتآلِفَةٌ

وكانَ أبُو بَكْرٍ - رَضِىَ اللهُ عَنهُ - رَجلا مِنْ أشْرفِ رِجالِ العَربِ فى الجاهِلِيَّةِ رَقيقَ الطَّبعِ . مَحمودَ الخِصالِ ، وَافرَ العَقْلِ ، شُجاعًا فى الحقِّ ، صَائبَ التَّفكِيرِ ، لَم يُشارِكْ قَومَه فِيما يَعْبدُونَ مِنْ أصْنامٍ ، أوْ يُسْرِفُونَ فيهِ مِنْ شُربِ الخَمرِ ، أوْ لَعبِ القِمارِ .

* * *

أمَّا مُحمدٌ - عَليهِ السَّلامُ - فَغدا قَبلَ الرِّسالةِ يؤَهِّله ربُّه لحَملِ أعْظَم رِسالةٍ فى التَّاريخِ ، فكانَ يَسيرُ حَاملا زاداً قليلا ، حتَّى يَصلَ مكانًا عاليًا ، فى جَبلِ حِراء ، وفى الغَارِ هُناكَ يُفكِّر فى خَلْق السَّماءِ والأرْضِ ، فإذَا أظْلَم اللَّيلُ نَظر إلَى النُّجومِ ، وفكَّر فى خَلْقها ، وقَضَى النَّهارَ فى تأمُّلٍ ، واللَّيلَ فى تَدبُّرٍ ، وكذَلكَ ظلَّ ، يُهيئهُ ربُّه ويُصفِّيه ، ويَنْشرُ عَليهِ مِنْ ظِلالِ رحْمته .

وكانَ مَحمدٌ مِن الفِتْيان الَّذِينَ تَربَّوْا فى جَاهليَّةِ قُريشٍ ، ولكنَّ ربَّه خصَّه ، ونَقَّاهُ ، وطهَّرهُ ، فكانَ - وحْدَه - لَه صِفاتٌ ، ولَه عَلاماتٌ وعَاداتٌ ، يَنْظُر إلَيهِ شَبابُ قُريشٍ ، فيُعْجَبونَ ، بخصائصِ هٰذا الفتى العَجيبِ . وتَحتَ أنْظارِهم جَميعًا كانَتْ تَبدُو طَهارتُه ، وأمَانَتهُ ، وصَفاؤُه .

فى بناء الكَعْبة

ولَمّا بَدأتْ قُريشٌ فى بناءِ الكَعبةِ فى الجَاهليَّةِ بَعْد أنْ تهدَّمَتْ ، كانَ عَليهِ السَّلامُ يحْملُ الحِجارةَ ، وإزارُه مشْدودٌ عَليهِ فَقالَ لَه عمُّه العبَّاسُ : يا ابْنَ أخى ، لَو جَعلتَ إزَاركَ عَلى عاتِقكَ ؟

فَشدَّ مُحمدٌ ثَوبَه عَلى عاتقهِ ، ولَم يَكدْ يفْعلُ ذلكَ حتَّى سَقطَ مَغْشيًا عَليهِ ، ثمَّ قَال : إزارِى . إزارِى ، ثمَّ أَسْبل إزارهُ عَلى جَسدهِ الطَّاهرِ . وقامَ يحْملُ الحِجارةَ معَ غَيرهِ مِنَ الفِتيانِ ، وكانَ الفِتيانُ يتَناقلُون هٰذا الحديثَ العَجيبَ ، ويَتسامرُونَ بقصَّتهِ ، فِيما بيْنَهم ، ومنْهُم فِتيانٌ أطْهارٌ ، أخذَ هٰذا الحادِثُ مِنْ نُفوسِهم مَأْخذَه القَوىّ ، يُحدثُونَ بذَلكَ أنْفسهُم ، ويَهِيمُون حُبًّا بالفَتَى الطَّاهِرِ ، الذِى خصَّه القَدرُ بأسْمَى الصِّفاتِ ، وأجلِّ الكَراماتِ .

وهُمْ صَفوةٌ مِنْ قُريشٍ ، عُرفُوا بالتَّفكيرِ والحِكْمةِ ، وحُسْنِ الرَّأى ، والبُعدِ عَنْ عِبادَة الأَوْثانِ ، فَيطْمئنُّ إليهمْ مُحمدٌ عَليهِ السَّلامُ ، ويَعْقدُ صِلاتَه بِهِم .

وكانَ أبُو بَكرٍ أكْثرَهُم صلةً بالنَّبىِّ عَليهِ السَّلامُ .
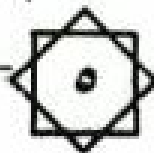
كانَ الصَّاحبانِ : مُحمدٌ وأبُو بَكرٍ ينْقُلانِ الْخُطَى عَلى أرْضِ مَكَّة ، تَارِكَيْنِ مَنازلَها ومُنْتدياتِها إلَى هُدوءِ الصَّحراءِ ، والخَلاءِ ، حتَّى إذَا ما انْتَهيا إلَى بقْعةٍ نَائيةٍ هَادئةٍ اختَلى كلٌّ مِنْهُمَا بصَاحبِهِ ، يبثُّه أسْرارَه ، ويُظْهرُ لهُ ما يَسرُّه ، ومَا يُحزِنُهُ ، مِنْ أمُورِ القَومِ الَّتى تَجْرى أمَامَها :

أبُو بَكرٍ الشَّابُّ النَّحيفُ التَّاجرُ ، يشْكُو مَتاعبَ التِّجارةِ ، ومَا يُلاقيهِ مِنْ مُساومَاتِ النَّاسِ ، وحَلفهِم بالبَاطلِ ، وغِشِّهِم ، ويشْكُو ، لأنَّ التَّاجرَ النَّاجحَ هُو صَاحِبُ السِّلْعةِ ، الَّتى يدْفَعها إلَى المشْتَرينَ بالخداعِ ، والكَذبِ ، والقَسَمِ علَى الأصْنامِ ! !

* * *

ومُحمدٌ الشَّابُّ الفَتَى الطَّاهرُ يشْكُو لصَديقِهِ ما فى مَكَّةَ مِنْ عاداتٍ سيِّئةٍ ، فَالناسُ يَعْبدونَ الأصنامَ ، ويرْتكبُونَ أسْوأ العَاداتِ : يشْرَبُونَ الخمْرَ ، ويلْعبُون المَيْسرَ ، ولاَ يفكِّرونَ فى خَالقِ الأرْضِ والسَّماءِ .

يخْتَلى الصَّاحبُ بصَاحِبهِ ، وكلٌّ مِنْهما يُداوى جِراحَ الآخَرِ بكَلمةٍ رَاشدةٍ ، أوْ رَأيٍ سَديدٍ ، ويُخفِّفُ عَنهُ بعضَ مَا يُقاسيهِ ، ولَكنَّهما يفْتَرقانِ دَائمًا ، وهُما فى حَيْرةٍ مِن ذَلكَ الصَّوتِ الَّذى

يُسْمعُ منَ الباديةِ قائلا : سلامٌ عليكَ يامُحمدُ . سلامٌ عليكَ يامُحمدُ .

فإذا سمعَ مُحمدٌ النّداء الْتفتَ خلْفه فلا يَرى شيْئًا .

وتَتكرَّرُ هَذه الحادِثة كلَّما كانَ مُحمدٌ وَحيداً فى صَحْراء مكّة .

ولا يَبوحُ الصّديقُ الأمينُ بذَلكَ السرِّ إلَّا لصَديقهِ أبى بكرٍ .

عَسَى أنْ يَجد عِندهُ الجوابَ . الّذى يُخفِّفُ مِنْ حَيرته .

ولَكنَّ أبَا بَكرٍ يَسكُتُ . فَلا جَوابَ لَديهِ . إنَّه أمْرٌ خارقٌ للعَادةِ . مُجاوزٌ للمألُوفِ . فَكيفَ يَستطيعُ أنْ يأتِىَ عنهُ بجَوابٍ ؟

إنَّهما صَديقانِ يَتفاهَمانِ مُخْلصَيْنِ . فِيما يَهمُّهما . وفِيما يُشاهِدانِ مِنْ أمُورٍ . فى أهْلِهما . وفى بَلدِهما .

ولَكنَّ ذلكَ النّداءَ الغَريبَ خَفِىَ أمْرُهُ . ولا يَصلُ إلى تَفكيرِهِما سرُّهُ . إذَنْ فلْيترُكا البَحثَ فيهِ . والتَّعليلَ له . لأنَّهما لا يُمكِنُ حتمًا أنْ يَصلا إلى قَرارٍ .

وهُما . وإنْ تَركا التَّفكيرَ فيهِ فإنهُ يَشغَلُ مِنْ نَفْسِ كُلٍّ منْهما مَكانًا . مَالَهما مِنْ ذَلكَ مَهْربٌ .

نَصيحــةُ زَوجــةٍ

وفى لَيلةٍ جَلسَ الزَّوجُ الحَبيبُ إِلَى زَوجِه الحانيةِ خَديجَة . يقُولُ لَها :

– إنِّى إذا خَلوتُ إلَى نَفْسِى سَمعتُ نِداءً ، يقُولُ . كَذا ، وكَذا ، فَتَتَّجِهُ الزَّوجةُ بهِ إلَى ابنِ عَمِّها : وَرَقة بن نَوفلٍ .

وورَقةُ بنُ نَوفلٍ ، ابنُ عَمِّ خَديجَةَ ، شَيخٌ مُسِنٌّ ، يدْرسُ الإنْجيلَ ويعْرفُ أخْبارَ الأَنْبياءِ والأَدْيانِ ، ثمَّ هوَ رجلٌ مُجرِّبٌ ، يقْرأُ كَثيراً ، ويدْرسُ عُلومَ زَمانِه ، وَيفْهَم كَثيراً مِنَ الأَسْرارِ وكما قالَ بعضُ المؤرِّخينَ أن أبا بكْرٍ حضر هذا اللقاء .

أخذَ أبُو بكْرٍ بيَدِ صَديقِه الأمينِ ، وسَارا إلَى ورقَة بْنِ نَوفلٍ ، فلمَّا جَاءاهُ قصَّا عَليهِ قصَّة ما سَمِعَ مُحمدٌ . فتأمَّلَ الكاهِنُ ، وهَشَّ فى وجْهَيهما ورحَّبَ بهِما ، لأَنهُ عَرفَ أنهُ أمامَ نَبىٍّ هٰذهِ الأمَّةِ ، ومَعهُ صَاحبهُ الصِّدِّيق فَطمْأنهُما ، وأَنبأهُما خَيراً .

رِحْلةُ الشّتاءِ والصَّيف

وكانَتْ لِقُريشٍ رِحْلتانِ : إحْداهُما إلَى اليَمنِ فى الشّتاء . والأُخْرَى إلَى الشّامِ صَيفًا . وكلٌّ ذلك للتّجارة . تَحملُ رِحلةَ الحِجَازِ إلَى الشّام ، وإلَى اليمنِ مِنْ خيراتِها ما يحتاجُ إليه أهلُ البلدَيْن . وتَحْمل مَعَها مِنْ خيراتِ البَلَدينِ ما يَرُوجُ عندَ أهْلِ الحجازِ .

ولمّا كانَتْ رِحلةُ الصَّيْف اسْتعدَّ التُّجّارُ لِحَمْل بضَائِعِهم إلَى الشَّام وكَانَ مِنْ بَينهِم أَبو بكرٍ . حَمَل بضَائعَ مكَّة . وبضَائعَ كانَتْ عِندهُ مِنْ سِلَعِ اليَمَن .

حتَّى إذا خَرجَت القَافلة سارَ فى مُقدِّمَتها . بَعْد أنْ وَدَّع حَبيبهُ وصديقهُ « مُحمدَ بْنَ عَبدِ الله » .

وسارَت القافلةُ تَشقُّ بطْنَ الصَّحراء . وتحطُّ فى مَنازِلِ الطَّريق للرَّاحةِ نَهاراً ، وبَعْضًا مِنَ اللَّيْل . ثمَّ تَسيرُ لَيْلا وبعضَ النَّهارِ ، حتى أشْرفَتِ الرحْلةُ عَلَى نهايتِهَا .

انْتهى أبو بكْرٍ مِن بَيع تجارَته فى أرْضِ الشَّامِ . وحَملَ تِجارةً مِنْ هُنالكَ يَبيعُها فى مَكَّة ، وَعَادَ إلَيها فى رِعايةِ اللهِ .

ولمَّا ألْقَى رَحْلَه فى بَلدِهِ (مكَّة) شُغِلَ بأمْرِ تجارتِه كما شُغِل بمَا يَنتَظِره . فى بَلدِه . وفى بيتِهِ . فَراحَ يُصَرِّفُ أمُورَهُ ، ويُرَتِّب أحْوالَه . بَعْد أنْ غَابَ عَنْ وَطنِه مُدةً طَويلةً .

وبَعدَ ذَلكَ شُغِل بتجَارتِه . يَعْرِضُها عَلى النَّاس فى أمَانةٍ وصِدْق . عَلى غَيرِ مَا عَهِدهُ النَّاسُ فى تُجَّار بَلدِهِ .

° ° °

كُلُّ ذَلكَ أخذَ مِنْهُ وقتَهُ كلَّه . فلَمْ يُقابِل صَديقَه (مُحمداً) .

وكانَ الصَّدِيقُ ﷺ الحَبيبُ كَذلكَ فى شُغلٍ شَاغلٍ بتِلْكَ (الرِّياضَة) العَظيمةِ . الَّتى انْقطع لَها . يُضِىءُ لهُ ربُّه الطَّريقَ بمَنامَاتٍ صَادقةٍ . فيقْضِى نهارَه . وأكْثرَ لَيلهِ . يُفكِّرُ فى العَالَم وفى خَلْقِه . وفى هٰذه الأصْنامِ العَاجزَة . وهُوَ يُفكِّرُ ويُفكِّرُ . حتَّى ليُنْسِيهُ تَفْكِيرُه طَعامَه ونَومَه . ويُنسِيهِ مُرورَ الوقْتِ ؛ ويتْرُكهُ مُعلقًا بمَا يتمنَّى أنْ يَعْرِفَ مِنْ حَقيقَة العَالَم . وسرِّ الوجُودِ . ثمَّ يَسْتَريحُ فى الغَار سَاعاتٍ قَليلةً . يَعودُ بَعدَها إلَى تفْكِيره وتأمُّلهِ فى الكَوْن . وخَالقِه . ومَلائكتِه . ورُسُله .

مَضَى بَعضُ الوقْتِ مُنذُ عَاد أبُو بَكرٍ منَ الشَّامِ . قَضَى فى
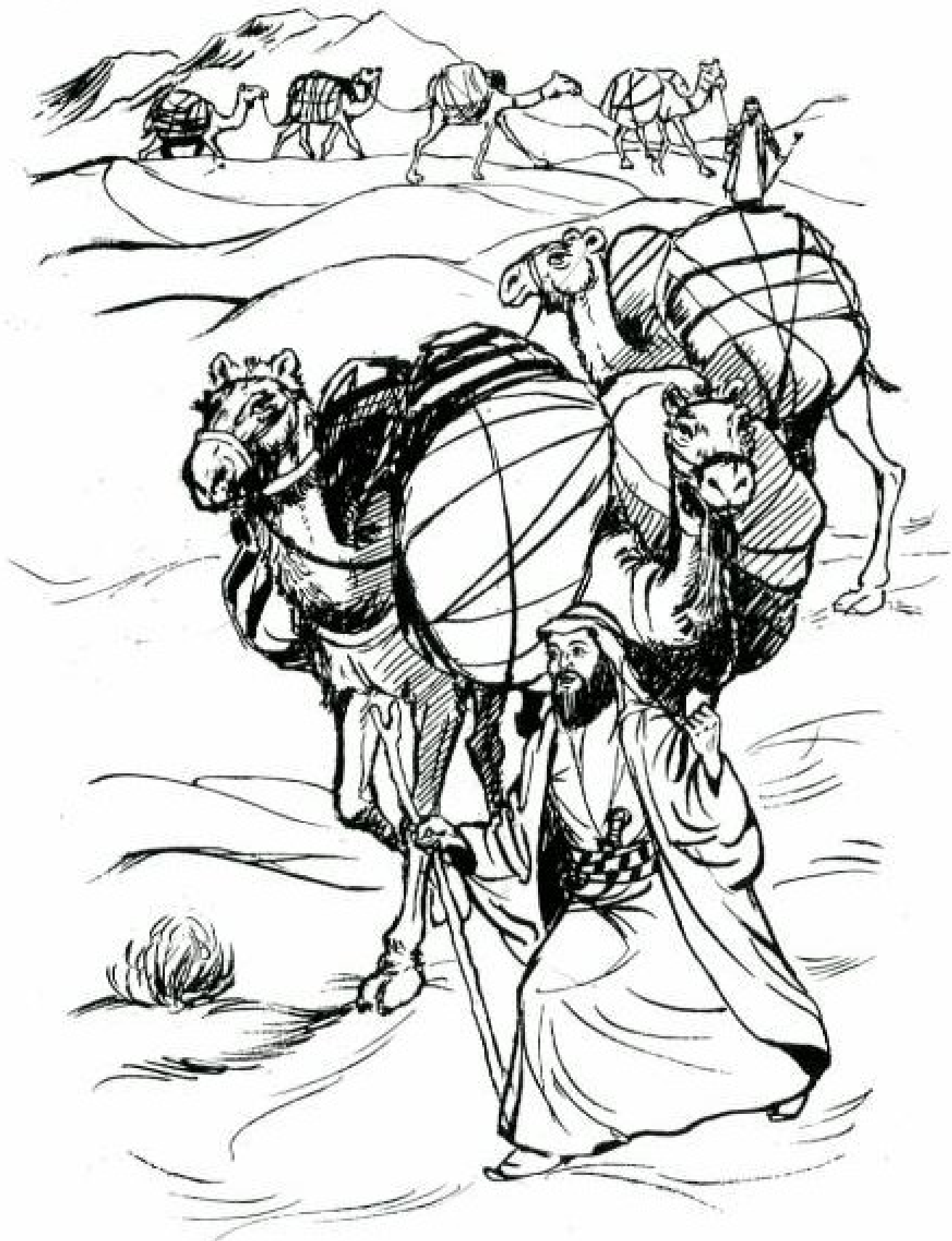
هَذا الوَقْت عَلى البَتِّ فى الأُمُورِ العَاجِلة ، ثمَّ وجدَ فى نَفْسه لَهفةً وحُبًّا إلَى مُجالسَةِ حَبيبه ، والاسْتِماعِ إلَى حَديثِه ، ورَأْيه .

عادَ أَبُو بَكرٍ مِنَ الشَّامِ ، مُشتاقًا إلَى صَديقِه ، وصَاحِبِه ، ولَكنَّ أمُورَ مَكَّةَ شَغلَته عَنْ لِقائِه قَليلا ، وإنْ كانَ تَفْكِيرُ كُلٍّ مِنْهما فى صَاحِبه لا يَنْقَطع .

وفى كُلِّ يَومٍ كانَ أَبُو بَكرٍ فى شُغْلِهِ ، يُصرِّفُ أمُورَ تِجارتِه ، ويَجتَمعُ حَولَه القُرشِيُّون حِيناً ، ويَنفَضُّون عنهُ حِيناً آخرَ ، وتَأْتى وفُودٌ إلَيه إثْرَ وُفودٍ ، يلْتمسُون مِنْ مَالِهِ ، ومِنْ رَأْيهِ .

كيفَ أسْلم أبُو بكرٍ

كان أبُو بكرٍ ، رضى الله عنه ، رَجُلا محبُوبًا فى قُريشٍ ، يُحبُّ الناسَ ويُحبُّونه ، ويجْتمعُون عنْدهُ ، فيستْمعونَ إلى حديثه .

وكان عالمًا بأنْساب قُريشٍ وتَاريخِهَا ، على دِرايةٍ كَبيرةٍ بأخبار الأجْدادِ والأبناء ، كَما زادتْه التِّجارةُ والسَّفرُ بيْن البِلادِ المُخْتلفةِ علمًا وتجربةً .

وكان مجْلسهُ مَجْلسَ عِلمٍ وتَسْليةٍ ، نظرًا لما كان يحْكيهِ عن سَفريَّاتهِ الكثيرَة وما لاقاهُ من طرائف وغرائب ، وكانت منزلته بيْن قومِه عَظيمةٌ ، كَما كانَتْ ثرْوتُه كَبيرةٌ .

وكان حبُّه لصَديقهِ محمدٍ لا يساويه حبٌّ أيِّ شىْءٍ ، وكانَتْ تَجمعُه مَعَه رابطةٌ قويَّةٌ من الثِّقة والإخلاص .

فلمَّا جاءَ الوحْيُ ونزل بالرِّسالَةِ العظيمَة على سيِّد البَشَر وأمَرَهُ الله بالدَّعوةِ فى السرِّ ، وأسْلمتِ الزوْجَة العظيمة خديجةُ ، وأسْلم علىٌّ وهو صغيرٌ وأسْلم خادمه زيدُ بنُ حَارثةَ من العَبيد .

رَأى الرَّسولُ ﷺ أن يعْرضَ الإسْلَامَ على صَديقهِ أبى بَكرٍ ، فما كادَ يَسْمعُ العَرْض حتَّى أسْلَم .

وكانَ إسْلامهُ إسلامَ الواثِقِ المطْمَئِنِّ إلَى صِدْق ما جاءَ بِه صاحبُه .

وكانَ ﷺ بعد نُزول الوحْى إذا حَضَرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مَكَّة ، وخرج معه علىٌّ بنُ أبى طالب وأبو بكرٍ ، فيصلُّون فى تلْك الشِّعاب ، حتَّى إذا جاءَ المساءُ عادُوا ومكثَ الرَّسولُ وصحبُه علَى هٰذه الحالَة ما شَاء الله أن يمكثوا .

وكانَ سُرورُ النَّبىِّ عليهِ السَّلامُ شَديدًا ، لإسْلامِ صَاحبِهِ .

وقدْ حقَّقَ أبُو بَكْر أملَ صَديقِه ، فكان نِعْم المسْلمَ الصَّديقَ لنَبىِّ الإسْلامِ عَليهِ صَلواتُ الله وسَلامهُ .

أسْلَم أبُو بكرٍ وفَتَح الله قلْبهُ لدينهِ الحَنِيفِ ، فكانَ أوَّلَ رجُلٍ أسْلَمَ .

وكانَ رجُلا محبوبًا فى قَومِه مَوثُوقًا بهِ ، مُحبَّبًا سَهْلا فِيهم ، فيهِ شَجاعةٌ فى إعْلانِ الحقِّ . وَلَوْ كَرِهَ المشْركونَ ، فأظْهَر إسْلامهُ ودَعا إلَى عِبادة الله وحْدَه ، والإقْرار برسَالةِ مُحمَّدٍ رسوله ، وجعَل مَسْجدًا بفناءِ دَارِهِ ، يُصلِّى فيهِ ، ويقْرأُ القُرآنَ الكَريمَ ، ويْجتمعُ عليهِ الناسُ ، ويسْتمعونَ إلَى قِراءتِه ، ويَعْجَبُون لبُكائِه ، وينْظُرون إلَى صَلاتهِ ، وخُشوعِه ، ونَفسُهُ تَفيضُ حبًّا لله ، وخَشْيَةً منهُ .

وكانَ أبُو بكرٍ رَجُلا مألُوفاً يجْتمعُ إلَى مَجلسِه دائماً صَفوةٌ مِنْ قُريشٍ ، يستَفيدونَ مِنْ عِلْمه ، وخُلقِه ، وصَفاءِ رَأيِه ، وحُسْن مُجالستِه ، فَجعل يدْعُو إلَى الإسْلامِ مَن وثقَ بهِ منْهُم فأسْلَمَ منْهُم كَثيرٌ .

أسلَمَ بدُعائِه : عُثمانُ بنُ عفَّان ، والزُّبيرُ بنُ العَوامِ ، وعبدُ الرَّحْمن بنُ عَوفٍ ، وسَعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ، وطلْحةُ بنُ عُبيدِ الله ، فَجاءَ بِهم إلَى رسُولِ الله صلَّى الله عَليهِ وسَلَّم بعدَ أنِ استَجابُوا إلَى الدَّعوةِ ، فأسْلَموا جَميعًا .

وكانَ مِن هؤُلاء الثَّمانيةِ الَّذينَ سَبقُوا إلَى الإسْلامِ أعْظَم كَسْبٍ حقَّقتهُ الدَّعوةُ المبارَكةُ . رَضىَ اللهُ عَنْهُم أجْمَعينَ .

وكانَ الرَّسولُ عَليهِ السَّلام فرِحاً رَاضيًا ، لإسْلامِ أبي بَكْرٍ ، مُطمئنًّا لصُحْبته ، شَديدَ الثِّقةِ والصِّلةِ بِه ، وكانَ يَذكُر إسْلامَهُ ، ويثْنى عليهِ .

قالَ عليهِ السَّلامُ : « مَا دَعَوْتُ أحَداً إلَى الإسْلامِ إلاّ كانَتْ عِندهَ كَبْوَةٌ[1] ونَظرٌ وتَرَدُّدٌ ، إلاَّ ما كَانَ مِنْ أبي بَكْر بنِ أبي قُحافَةَ ، ما عَكَم[2] عنهُ حينَ ذَكرتُه لَه ، وما تَردَّد فيهِ » .

---

(١) كبوة : تأخير فى الإجابة . (٢) ماعكم : تأخر .

مِنْ صِفاتِ أبى بَكرٍ رضى الله عنه

لمَّا انتَقلَ الرسولُ ﷺ إلَى الرَّفيق الأعْلَى ، أصيب المسْلمونَ بالذُّهُول ، ودخلَ فى نُفُوسِهم الشَّكُّ ، حتى إنَّ عُمر بْنَ الخطَّاب قال :

– مَنْ قال إنَّ مُحمدًا قَدْ ماتَ ضربتُ عُنُقه بسَيْفى ، إنما ذَهَب إلى لقاء ربِّه وسَيعودُ إلينا كَما رَجَع موسى .

فوقَفَ أبو بكرٍ عِنْدئذٍ وقال : أيُّها الناسُ من كان يعبُدُ محمدًا فإنَّ مُحمدًا قد مَاتَ ، ومن كان يعْبد الله فإنَّه حيٌّ لا يموتُ ثم تَلا الآية الكريمة : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

عِنْدها وقَعَ عُمرُ على الأرْضِ كأنه لَم يَسْمَعها مِنْ قبل .

لم يجزَعْ أبو بكرٍ ولم يدْخُل الشكُّ إلى نَفْسِه ، بَلْ دَفَع الرَّيْبَ عن نُفوسِ المؤْمنينَ ، حين ذكَّرهم بمَا جاء به القرآنُ الكريمُ حيثُ يقُولُ : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

بَعْد وَفَاةِ الرسُول ﷺ ارتدَّ عَددٌ مِن الأعْرابِ عنِ الإسْلامِ بل ادَّعوا النُّبوَّةَ ، فكثُر الكذَّابونَ منهم : الأسود العنْسيُّ فى اليَمن ، ادَّعَى أنه نبيٌّ . وكذا ادَّعَى النبوَّةَ مسيلمة الكذاب فى اليمامة . وادَّعَى النبوَّةَ طلحة فى بنى أسَدٍ ، وارتدَّت بعضُ القبائل ومنعوا دَفْعَ الزكاة وقالوا كنَّا ندفعها لرسول الله أما الآنَ فلا .

فأصرَّ أبو بكرٍ على قتالهم جميعًا مهما قالوا : لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسولُ الله وقالَ لَه عُمر : أتقاتل قومًا يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ؟ فقال أبُو بكرٍ مقالته المشهورة :

« والله لو منَعُونى عِقَالا [الحبل الذى يربط به الجمل] كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه » وقد كان وانتصر الإسْلامُ فى حروب الرِّدَّة .

وفى مَرضِه الَّذى ماتَ بَعْده طلب من السيِّدة عائشة أنْ تردَّ مالا عِنْدها كان قد أودَعَه مخافة أن تأخُذَه لنَفْسها وقال لها : إنَّما هما أخَواكِ وأخْتاكِ ولم تعرف السِّيدة عائشة بالأخت الرابعة فسألتهُ عنها فقال لها : هىَ أمُّ كلثوم بنت أبى بكرٍ من أم أخرى غير أمها اسمها أسماء بنت عُمَيْس .

وأَوْصَى أنْ يكفَّن فى ثَوبيْنِ قَديميْنِ كان يُصلّى فيهما فلمَّا عَرَضَت عَليه السَّيدةُ عائشة أن يكفَّنَ فى الجديد قال :

إن الحىَّ أحْوجُ إلى الجديد من الميِّت ، إنما الكفَنُ لما يخْرجُ منَ الميِّتِ وللتراب أيضًا .

وقد تُوفِّىَ رَضَى الله عنْهُ بين المغْرب والعشاء يَوم الإثْنَين لثمانِ أيَّامٍ بقينَ جمادى الآخرة سنة ١٣ من الهجرة ، ودُفِن من ليلتِه ببيت عائشة إلى جنب قبر رسول الله ﷺ وصلَّى عَليه عُمرُ بن الخطَّاب فى المسْجدِ عنْدَ المنْبَر .